

قولتا¹... الآن وقد نزل الظلام ...²

أيتها الملكة الشمس، يا وردية الخد، يا عملة النهار الملكية ،
تلمسيني فيغدو جلدي قرنية،

ونخاعي عصباً بصرياً، وتنتابُ الرعشةُ مني جسداً
يكاد ينبهر بإشراق شلال من ذهب تسكيبه أنتِ
على هذا البحر وعلى هذه المدينة، وأصابُ أنا بالعمى.

هنا انتصبتُ فيما مضى - وأعلم أنها لا تزال -

صفوفٌ من منازلٍ وشوارعٍ تنتمي لمدينة
غير هذه المدينة التي أعدتِ أنتِ صياغتها.

معاً نسيرُ على الشط عند الميناء.

زوارقُ الصيادين ليلاً تاهبتُ للإبحار،

المحركاتُ تُصدرُ أصواتها الخافتة، ومصاييحُ الغاز على نواصي الزوارق،

وكلُّ سُكّانِ البلدةِ خارجَ بيوتهم يتنزهون،

أدرُغُ العشاق تتشابك، والفتيانُ يختالون،

الآباءُ والأمهاتُ والأطفالُ يأكلون الأيس كريم،

الشيوخُ الجالسونَ إلى موائدهم في مقاهي الرصيفِ يتفرجون،

والتلالُ رويداً، رويداً يغشاها الظلامُ فتتقاربُ كأنها حيواناتٌ ودودة.

وهجُ السماءِ الأسرُ في المساء، منثورٌ على التلالِ وعلى الخليج،

ذراعكِ تلمسُ الآنَ بلطفٍ ذراعي، كأنها تلمسُها دون قصد،

كأنها لمسةٌ من هذه الفتاة التي تسير بجانبني،

فتاةٌ وازنةُ الوركين، ضيقةُ الخطو، مُتمايلةُ القد،

شعرٌ فاحمٌ مُرتدُّ إلى الخلف، حنجرَةٌ شهيةٌ وكتفانٌ أضفى عليهما

الصيفُ سمرَةً عميقة، وعينان في سمرّة الزيتون لا تكفّان عن الضحك.

أرشفك، يا أيها الضوء الوامض، كأثك الخمر، كأثك الغناء،
كما رشف منك أسلافها لآلاف السنين.

اسمها "إيفتريا"³، يا مدينة لا تُحصى مسامها،
ومع أن تُدوبك تبدو لها نقطاً رمادية، فإنَّ حَقَّها في
أن تتهادى على رصيف هذا الميناء ثابت منذ القدم،
في هذه الساعة التي يمرح فيها الضوء وتمرحُ انعطافاته
على وجهها بمكر كما يمرحُ الكلام والغناء،
حُقَّ لها أن تتهادى كأنها آله يعزف نورك عليها،
كأنها راعية تحرسُ نورك، تجمعه في أعماق عينيها.
حُقَّ لها، أيتها المدينة، أن تدوسك كأنها راقصة.

يا أيها المساء الحبيب، ويا نوراً دام آلاف السنين، ويا شادياً
صافي الصوت، عذباً مثل هذه الفتاة، كيف لي أن لا أعشق
هذا الجمال الذي تصوغ منه هذه المدينة ومنه تصوغ أهلها،
هذا القالب الذي يصوغ كل ما يلمسه، يصوغ الكون كله؟
ها قد صرت، أيها المساء، عبداً من عبيدك، إن لم أكن واحداً
من رعايك. وإذ أظماً لأن أشربك، إذ أتوق إلى أن أشربك كلك،
سأمل كل مسامي بوهجك البهيج وبانطلاق هذه الجميلة.

ريتشارد برنجارتن
Richard Berengarten

ترجمة حسن حلمي
Translation by Hassan Hilmy

¹ الكلمة إغريقية، وتعني "نزهة المساء".
² من قصيدة لجورج سفيريس - George Seferis.
³ الكلمة إغريقية، وتعني "حرية".

interLitQ.org